Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023

مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023

djhr.uodiyala.edu.iq

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

IRAQI Academic Scientific Journals

الأسلوبيّة في المنظور النّقديّ عند أحمد مطلوب وحمّادي صمّود (دراسة موازنة)

Stylistics in the Critical Perspective of Ahmed Wanted and Hammadi Samoud (balancing study)

أ.د. اياد عبد الودود عثمان الحمداني **فنن نجم عبد الآله**

Author Information

Prof. Dr. Iyad Abdel-Wadoud Othman Al-Hamdani *Fann Najm Abdel Ilah*

University of Diyala
College of Education for Humanities

Author info

EmaiL1: metonymyman@yahoo.com

Email 2 fanan328@yahoo.com

Article History

Received	*Accepted:*
November 4, 2022	*November 29, 2022*

Keyword: Stylistics, Ahmed Wanted, Hammadi Samoud

Abstract:

Our tagged research (Stylistics in the Critical Perspective of Ahmed Matloob and Hammadi Samoud, a balancing study), is based on monitoring the manifestations of stylistics based on two visions, the first of which is Dr. The Arabic rhetorical arts, and that there is a complementary relationship between them so that one cannot be dispensed with the other, while the other vision of Dr. Hammadi was steadfastness, as the motives for the study of stylistics for him were the Western one. Which goes back to the nature of critical thinking between them, and the cultures of each critic, they agreed on some essential points that each of them believed in.

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه وبعد،

تُعدّ الأسلوبيّة منهجًا نقديًا، اعتمد في تحليله للنصوص على الدراسات اللّغويّة، وهدفه الكشف عن الخصائص الفرديّة التي تميّز كلّ نصٍ عن النّصوص الأخرى، فالأسلوب هو طريقة التعبير الخاصة، والبصمة اللّغويّة التي تميّزه عن الآخرين، وكان محور هذه الدراسة يقوم على الموازنة بين الناقدين الدكتور أحمد مطلوب والدكتور حمّادي صمّود، في دراستهما لموضوع الأسلوبيّة، لما وجدنا عندهما من فهمٍ واعٍ ودراسةٍ مفصّلةٍ لها، وقد استطعنا الوقوف في هذه الدراسة على أبرز النقاط التي تميّز كلّ ناقدٍ منهما، على حسب اختلاف تفكيره النقديّ، نتيجة المؤثرات الثقافيّة والمنابع التي ارتوى منها، فقد كان للتراث البلاغيّ العربيّ الأثر البالغ في رفض الدكتور أحمد مطلوب للأسلوبية، والوقوف عند نقاط الاختلاف بين التّحليل الأسلوبيّ والتّحليل البلاغيّ، فضلًا عن أبرز مزايا البلاغة مقابل عيوب الأسلوبيّة، مبيّنًا أنّه لا غنى للأسلوبيّة عن البلاغة وأنّ هنالك علاقة تكامليّة بينهما ولا تصلح أن تكون الأسلوبيّة بديلًا عن البلاغة، بينما درس الدكتور حمّادي صمّود الأسلوبيّة على وفق المفهوم الغربيّ لها فقد وقف على أبرز أنواعها في النّقد الغربيّ، وكان هدفه من ذلك هو أن تتصل البلاغة العربيّة ببلاغة الآخر الغربيّ؛ لذلك كانت دراسته للأسلوبيّة وفق رؤية خاصة، هذا وقد جاء البحث بمدخل يرتبط بمفهوم الأسلوبيّة، ووضع البحث يده عند مهامّ الأسلوبيّة بوصفها منهجًا وأهميّتها والكشف عن خصوصيّتها مقابل الإجراء البلاغيّ مستندًا في ذلك إلى رؤية النّاقدين، ثم انطلق البحث بعد هذا للكشف عن المنظور النّقديّ لدى النّاقدين، محاولًا إيجاد موازنة تنطق بالتّمييز بين رؤيتين تبحثان في المزايا والعيوب والتوجّهات النقديّة في التّعامل مع الأسلوبيّة بمنظور النّاقدين في الدّراسة، وانتهى البحث إلى خاتمة سجّلت أهم الملاحظ العلميّة والنّتائج التي توصل إليها البحث.

الأسلوبيّة (Stylistics):

عُنيت الدّراسات النّقديّة الحديثة بالأسلوبيّة بوصفها منهجًا نقديًا، وقد أسهمت هذه الدّراسات في بيان طبيعتها وعلاقاتها، وخصائصها الفنّية، فضلًا عن وسائل بنائها، إذ عُدّت الأسلوبيّة من بين المناهج النّقديّة الحديثة التي تُعنى بدراسة النّصّ الأدبي، ومجالًا من مجالات البحث المعاصر الذي يدرس النّصّوص الأدبية، فيحلل الأساليب ويكشف عن قيمتها الجماليّة منطلقًا من تحليل الظّواهر اللّغوية والبلاغيّة للنصّ.

استمدّ المنهج الأسلوبيّ خصائصه من اللّسانيّات، فدرس النّصّ بمعزلٍ عن مؤلفه وعن السّياق، فهو يدرس الخطاب الأدبيّ في ذاته ولذاته على وفق إمكاناته وطاقاته اللّغوية وقوانينها، فالأسلوبيّة كما عرّفها جاكبسون تبحث فيما ((يتميّز به الكلام الفنّي عن بقية مستويات الخطاب أولًا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانيّة ثانيًا))[1]، فالأسلوبيّة تعمل على ما يميز الخطاب الفنّي عن الخطابات الأخرى. لقد شهدت الأسلوبيّة - مثل بقيّة التيّارات النّقديّة الحديثة - تحوّلات عدّة منذ بدايات ظهورها الأولى، فقد أنجز علماء الغرب ومَن سار معهم على مناهج النّقد تطوّرا ملحوظًا، وذلك بإسقاط هذه المناهج الغربيّة على التّراث العربي، فكانت الأسلوبيّة في إطار المناهج النّقديّة الحديثة التي تطوّرت بتأثير من اللّغويّات الحديثة, ودراسات علم اللّغة التي وضع أُسسها (دي سوسير).

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

وكان (دي سوسير) أوّل مَن وضع اللّبنة الأولى لهذا العلم، فأحدث ثورة منهجيّة في مبادئ الدّراسات اللّغوية، وذلك بتغيير المفاهيم التي كانت سائدة في تلك الحقبة من تاريخ تلك الدّراسات, وهو أنَّ أغلب من ألّف في ميدان الدّراسات الأسلوبيّة، يرى أنَّ ظهور هذا العلم كان نتيجة التطوّرات الحاصلة في مجال الدّراسة اللّغوية[2]، ويُعد سوسير مؤسس علم اللّغة الحديث.

وقد كان تلميذه وخليفته شارل بالي، مؤسسًا لعلم الأسلوب، ثمّ أتبعه بدراسات عدّة مطوّلة نظريّة وإجرائيّة، أُسس بها علم أسلوب التّعبير الذي عرّفه بأنه ((العلم الذي يدرس وقائع التّعبير اللّغويّ من ناحية محتواها العاطفيّ أي التّعبير عن واقع الحساسيّة الشّعوريّة من خلال هذه الحساسيّة))[3]، وهكذا اتضحت مع شارل بالي معالم الأسلوبيّة بعد أن كانت متداخلة مع علم البلاغة، فقد قامت الأسلوبيّة بوصفها منهجًا وصفيًّا شموليًّا وشكّلت حضورًا واضحًا، بعد أن وقعت البلاغة في المعياريّة المتحجّرة التي انغمست فيها ردحًا من الزّمن.

ومع الانفتاح على مختلف الاتّجاهات النّقديّة الحديثة، التي استقطبت عناية الباحثين العرب، أثارت دراسة الأسلوبيّة قريحة النّقاد العرب فكثرت الدّراسات العربيّة للأُسلوبيّة سواء التنظيرية منها أو الإجرائية، فساروا في ميدان الدّراسات التنظيرية باتّجاهين الأول هو التّعرف إلى أُسس الأسلوبيّة والبحث عمّا يماثلها من جذور التّراث البلاغيّ العربي؛ لإثبات أصالة الدرس الأسلوبي وبأنّه ليس مجرّد درس تابع للغرب، ويمثّل هذا الاتّجاه عددًا من النقّاد ومنهم الدّكتور أحمد مطلوب، أما الاتّجاه الآخر فهو الاتّجاه الذي نهل من المفهوم الغربي للأُسلوبيّة، وجاءت طروحات هذه الدّراسات متوافقة مع الطّرح الغربيّ في هذا المجال، ولم يقتصر توجهّهم نحو استكشاف ما وصلت إليه الدّراسات الغربيّة الحديثة بل تعدّى ذلك إلى البحث في الجذور الغربيّة له، ومن نقّاد ومناصري هذا الاتّجاه الدّكتور حمّادي صمّود.

مهامّ الأسلوبيّة وأهميّتها النّقديّة :

تُعدّ الأسلوبيّة علمًا ومنهجًا قائمًا على رصد الظّواهر اللّغوية، وله عظيم الأثر في تحليل النّصّوص وفهمها، ولا تستند الأسلوبيّة إلى اللّغة فحسب بل تتعدى ذلك الى كيفية توظيف تلك اللّغة في خدمة المضامين، فهي تدرس النّصّ في ذاته عبر فحص أدواته وأنواع تشكيلاته الفنّية، وتتميز عن بقية المناهج النّصّية بتناول النّصّ الأدبيّ بوصفه رسالة لغويّة قبل كلّ شيء، فتحاول دراسة نسيجه اللّغويّ؛ بحثًا عن المدلولات الجمالية للنصّ عبر النّفاذ في مضمونه، وتجزئة عناصره، والتّحليل، وبهذا يمكن أن تُمهّد الطّريق للناقد، وتمدّه بمعايير موضوعيّة يستطيع على أساسها ممارسة عمله النّقديّ وترشيد أحكامه، ومن ثمّ قيامها على أُسس منضبطة تدّعي الموضوعيّة.

وتسعى الأسلوبيّة إلى ((كشف ملف النّصّ في خارطة العمل الأدبيّ الفنّي، وقدرته على مجاوزة مرحلة التّعبير إلى مرحلة التّوصيل، التي تحمل قيمًا جماليّة، وإثاريّة، وإقناعيّة. وهذا – في الواقع- جوهر ما تسعى الأسلوبيّة إلى تحقيق وجوده في المُنتَج الأدبيّ))[4]، فالتّحليل الأسلوبيّ يُسهم في إظهار رؤى الكاتب وأفكاره وملامح تفكيره، ويجلو لنا ما وراء الألفاظ والسّياق من مغزًى ومعانٍ ينطوي عليها النّصّ، كما يُبرز القيّم البلاغيّة والجماليّة فيه؛ ولكن تجدر الإشارة إلى أنّه ليس من مهام التّحليل الأسلوبيّ إصدار الأحكام على النّصّ الأدبيّ والحكم له أو عليه.

وبهذا تكون الأسلوبيّة قد أفادت من اللّسانيّات، والبلاغة، وبعض مناهج النّقد الأدبيّ، ولكنّها ليست بديلًا عن النّقد الأدبيّ كما يعتقد بعضهم، لأنّ مجال عملها محدّد بدراسة الخصائص اللّغوية والأدائيّة، كما

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

أنّها تُعنى بالجانب العاطفيّ في الظّاهرة اللّغويّة، فهي توقف نفسها على استقصاء الجانب الشّعوريّ الذي يشحن به المتكلم خطابه في استعماله للّغة، بينما يتسع مجال النّقد الأدبيّ ليشمل جميع عناصر العمليّة الإبداعيّة.

البلاغة والأسلوبيّة علاقة تكامليّة:

عانت البلاغة العربيّة من الجمود مدّة طويلة من الزّمن، وقد أسهمت الدّراسات النّقديّة القديمة في وضع القوانين الصّارمة، التي وجب الاستناد إليها في صياغة الأشكال الأدبيّة الثّابتة لمختلف الفنون الأدبيّة، فكان الخروج عليها يشكّل مخالفةً للمألوف؛ ولذلك لم يكن للمبدع ذلك الأسلوب المستقل الذي يعكس شخصيته ويميّزه عن الآخرين، وعلى الرّغم من ذلك فإنّنا لا ننكر وجود نقاطٍ مضيئةٍ في البلاغة العربيّة قد أخذت الأسلوب بالحسبان، وإن كانت قد تميّزت بمحدوديّة تناولها للأسلوب في حدود المعرفة السّائدة في تلك الحُقب.

لقد شاع عند النقّاد أنّ الأسلوبيّة (Stylistics) عبارة عن بلاغة جديدة، وقد استمدت مباحثها وأساسياتها من علم البلاغة القديم وأنّ بينهما علاقة تكامليّة[5]، فيؤمن (بيير جيرو) بأنّ الأسلوبيّة وريثة البلاغة، وهي ((بلاغة حديثة ذات شكلٍ مضاعف: إنّها علم التّعبير، وهي نقد للأساليب الفرديّة))[6]، أمّا شكري عيّاد فيعدّ الأسلوبيّة ذات عراقة وأصالة في العربيّة؛ فيقول: ((علم الأسلوب ذو نسبٍ عريق عندنا؛ لأنّ أصوله ترجع إلى علوم البلاغة))[7]، وما دامت الأسلوبيّة أحد فروع علم اللّسانيّات الحديث، فلا يمكن أن تكون بديلًا عن البلاغة، فالبلاغة لا يمكن الاستغناء عنها، والأسلوبيّة لا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة، على الرّغم من أنّها تستطيع التوغّل في خصوصيّات التّعبير الأدبيّ، أمّا الدّكتور عبد السلام المسدي فيعتقد أنّ الأسلوبيّة امتداد للبلاغة، وهي نفي لها في الوقت نفسه، وهما بوصفهما مصوّرين فكريين يمثلان شحنتين متنافرتين متصادمتين لا يستقيم لهما وجود آني في تفكيرٍ أصوليّ موحد، فالأسلوبيّة وليدة البلاغة ووريثها المباشر، ومعنى ذلك أنّ الأسلوبيّة بديل البلاغة ، والمفهوم الأصوليّ للبديل، هو أن يتولّد عن واقع مُعطى وريث ينفي بموجبه حضوره ما كان تولّد عنه [8].

إنّ أُسس الأسلوبيّة تعود بأصولها إلى البلاغة العربيّة القديمة، ولهذا نجد في دراسات بعض الأسلوبيين ما يُشير إلى تنظيرات القدماء وإجراءاتهم، ولعلّ الأصل المشهور الذي يستندون إليه هو عبد القاهر الجرجاني، واضع نظريّة النَّظْم، فالأسلوبيّة عنده ترتبط في ظاهرها بنظرية النَّظم، فعلى مستوى النَّظم يُمنَح المتكلم أسلوبًا خاصًا بعيدًا عن التّقليد، وتبرز المعاني بصورة جديدة، ولا يمكن للسرقة أن تحدث، فالأسلوب هو طريقة نظم خاصة بكلّ متكلم [9]، وهو بذلك يقترب كثيرًا من آراء الأسلوبيين والبنيويين في العصر الحديث؛ لتطابق ((الكثير من آراء عبد القاهر الجرجاني، وأنظاره، في وجوه النَّظْم والأسلوب، وعلاقة ذلك باللّغة والنّحو والبلاغة، مع آراء البنيويين المعاصرين والأسلوبيين المجددين في النّقد الأدبيّ والبلاغيّ))[10].

وإلى جانب عبد القاهر، نجد الباقلانيّ يركّز في كتابه (إعجاز القرآن)، على الألفاظ وأثرها في تركيب النّصّ وتناسقه، وقد اتخذ من النّصّ القرآنيّ أنموذجًا لتطبيق أفكاره وآرائه النّقديّة، فهو يرى أنّ الذّوق يكمن في اختيار اللّفظة ووضعها في مكانها المناسب، بحسب ما يتطلبه النّصّ؛ إذ تكمن البلاغة وحُسن البيان في وضع اللّفظة في سياقها السّليم، وعبّر الباقلانيّ عن ذلك بقوله: ((إنّ إحدى اللّفظتين قد تنفِر في موضع، وتزِلّ عن مكان لا تزِلّ عنه اللّفظةُ الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرِبُ بجرانِها، وتراها في مظانِّها، وتجدُها فيه غير مُنازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى- لو وُضِعت موضعها- في محل نِفار، ومرمى شِراد، ونابيةً عن استقرار))[11]. وبهذا يكون علم البلاغة قد خضع للتطوّر بفعل حضور الدّرس

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
djhr.uodiyala.edu.iq
IRAQI Academic Scientific Journals

اللّسانيّ والبحوث اللّغوية واللّسانيّة، فقد أصبح مرتبطًا بالأسلوبيّة مع اختلاف بين مدلول البلاغة المعياريّ، وما قدّمته اللّسانيّات من نجاحات كبيرة كان لها الأثر الواضح في دراسة الأدب.

وكما هو معروف أنّ هنالك علاقة وثيقة بين البلاغة والأسلوبيّة، فكلاهما يعتمد على آليّات نصيّة في التّحليل والقراءة للنّصّوص الأدبيّة نفسها، وأنّ هذا الأمر يجعل الفصل بينهما مستحيلًا، فلا يمكن أن يكون هناك تحليل أسلوبيّ من دون الاعتماد على علوم البلاغة أو في الأقل الإفادة من تعاملها الخاص مع اللّغة الإبداعيّة، الأمر الذي أكّده الدّكتور أحمد مطلوب الذي يرى أنّ العلاقة بين البلاغة والأسلوبيّة علاقة تكامليّة، وأنّ الابتعاد عن البلاغة العربيّة سيؤثر بشكل سلبيّ على النّقد الأسلوبيّ، رافضًا الرأي القائل إنّ الأسلوبيّة بديلٌ عن البلاغة، واصفًا بالتّعصب والجهل كلّ مَن يدعو إلى ذلك مدافعًا عنها بقوله: ((ليست علمًا أو فنًّا انتهى فهي لم تنضج ولم تحترق، بل هي متجددة بتجدد الأدب وهي ميدان رحب لمن درسها ويُدرك مقاصدها ويتذوق أسرارها))[12].

كما عدّ البلاغة والأسلوبيّة، من بين الوسائل النّقديّة الكثيرة والفعّالة في النّقد والحكم على النّصّوص، فهي من الوسائل المشاركة في الحكم، وإرشاد النّاقد والأديب في الوقت نفسه، وأنّ التصاق البلاغة بالأسلوبيّة جعل من الصّعب الاستغناء عن البلاغة والرّكون إلى الأسلوبيّة بوصفها بديلًا، بل يرى أنّه من الضّروري أن نضع الأسلوبيّة والألسنيّة في خدمة البلاغة والنّقد الأدبيّ، وأنّ كلّ مَن حاول تبنّي نظريّة شموليّة للأدب والنّقد الأدبيّ مبتعدًا عن البلاغة - بحجّة معياريّتها- مكتفيًا بالأسلوبيّة تعسف ولم يستطع تقديم ما هو نافع[13]، كما عدّ الدّكتور أحمد مطلوب البلاغة علمًا للأسلوب الذي أخذ مفهومه يشيع في الدّراسات النّقديّة الحديثة[14].

وقد دعا إلى دراسة البلاغة العربيّة بعمق مع الانتفاع بما تقدّمه الأسلوبيّة من مستجدات على أن تبقى أصول البلاغة هي المنطلق في تقويم النّصّ والحكم عليه، كما يرى أنّ البلاغة أساس النّقد الأسلوبيّ وإحدى أهمّ أدواته وأنّ الأسلوبيّة لن تثمّر إذا نأت بنفسها عن توظيف البحوث البلاغيّة وسبلها الفنّية، فهي أكثر التصاقًا بالأسلوب وإنهما ليستا شحنتين متنافرتين لا يستقيم لهما تعايش آني في تفكيرٍ أصوليّ موحّد، بل هما وسيلتان نقديّتان، وأنّ الفنون البلاغيّة أساس الأسلوب وتقويمه، وأنّ إهمالها هو ضياع لأصالة النّقد[15].

وبهذا يكون الدّكتور أحمد مطلوب قد وضع أبرز نقاط الالتقاء بين البلاغة والأسلوبيّة، فقد كان هنالك تداخلٌ بينهما جعل كلًا منهما مكملًا للآخر، فاستغناء البلاغة عن التّحليل الأسلوبيّ يعني الرّكون إلى القوانين الجامدة، وتحجيم الإبداع في النّقد، وأنّ تخلي الأسلوبيّة عن البلاغة يعني فقدانها أهمّ أدوات التّحليل، فكان لزوم التّرابط بينهما يصبّ في خدمة النّصّ؛ لإبراز أوجه الجمال والإبداع فيه.

التّحليل البلاغيّ والتّحليل الأسلوبيّ:

لقد أكّد الدّكتور أحمد مطلوب عبر دراسته للأُسلوبيّة وعلاقتها بالبلاغة، عدم إمكان قيام الأسلوبيّة مقام البلاغة ردًا على مَن يُحاول إثبات ذلك، معلّلًا ذلك بوجود الفوارق الكبيرة بين التّحليل البلاغيّ والتّحليل الأسلوبيّ، وقد عبّر عن هذه الفوارق في الآتي[16]:

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

التّحليل البلاغيّ	التّحليل الأسلوبيّ
يعالج التّحليل البلاغيّ التّوظيف اللّغويّ معجميًّا ونحويًّا وتركيبًّا وبيانًا في صحته وفصاحته ودلالاته واقتضائه للحال.	في حين يعالجه التّحليل الأسلوبيّ على أساس المفردات والجمل والمقاطع والنّصّوص معالجة تكوينيّة سياقيًّا ونفسيًّا واجتماعيًا.
تمتلك البلاغة معياريّة تراثيّة متوازنة تقوم بالحكم على النّصّ على أساسها وهي قابلة للتطوّر دائمًا.	بالمقابل لا تنطق الأسلوبيّة الحكم على النّصّ بقولها هذا جيّد وهذا رديء، بل يُحاكي النّاقد الأسلوبيّ ما يجده في النّصّ، مبينًا ما فيه من تنظيم وسياقات وبنيات وأساليب.
تغوص البلاغة على أدق دقائق اللّغة – تركيبها وصوّرها البلاغيّة وأساليبها- وتُطلِق الأحكام على وفق المعايير التّراثيّة والذّوق والعلم.	تستطيع الأسلوبيّة الغوص في المستويات الصّوتية, والتركيبيّة، والدلاليّة في النّصّ لكنّها لا تتعدى تقرير الظّواهر من دون الحكم عليها.
البلاغة هي أصول ومعايير وتطبيقات ونقُدات، وهي تتحرك بتراثيّتها وتطوّر هذه التّراثيّة.	في حين لا تتعدى الأسلوبيّة كونها علم ألسني، يتحرك بمضامين علميّة وفنيّة عن الكلام والمتكلم والمتلقي.

وعند هذه الفوارق استطاع الدّكتور أحمد مطلوب أن يضع أبرز ما يميّز التّحليل البلاغيّ عن التّحليل الأسلوبيّ، ولكن على الرّغم من هذه الفوارق فإنّ هنالك جوانب مشتركة بينهما، بل أنّ هنالك أثرًا للبلاغة في التّحليل الأسلوبيّ فهي تُعدّ من أهمّ آليّات التّحليل الأُسلوبيّ.

مزايا البلاغة مقابل عيوب الأسلوبيّة في منظور أحمد مطلوب:

لم يُنكر الدّكتور أحمد مطلوب أنّ الأسلوبيّة منهج نافع في الدّراسات النّقديّة وهو قريب من البلاغة، وأنّه ((منحى من مناحي الدّراسة النّقديّة لا يسلب أصالة النّقد العربيّ ولا يأتي بما لا ينفع ويُنير السّبيل إذا أُحسن الانتفاع بها وبالتّراث البلاغيّ الذي يمكن أن يكون معينًا ثَرًّا للمجدّدين، ومؤشرًا للمجدّدين، ومؤشرًا للحداثة التي يسعون إليها))[17]، فالأسلوبية عند الدّكتور أحمد مطلوب ليست بديلًا عن النّقد الأدبيّ، بل هي إحدى مجالاته الناجعة شرط أن يُحسَن الانتفاع بها وبالتّراث البلاغيّ، فالتراث البلاغيّ ليس بعيدًا عن التّجديد بل هو الأساس الذي يستند إليه كلّ مَن يسعى إلى الحداثة والتجديد، ولكن هذا لا يمنع وجود بعض العيوب التي استنبطها الدّكتور أحمد مطلوب في الأسلوبيّة عبر دراسته، الأمر الذي رجّح كفّة البلاغة عليها، وقد حدّد تلك العيوب في الآتي[18]:

1- عُنيت البلاغة بالتّعبير والتّصوير ونهضت بالتّحليل البديع، أمّا الأسلوبيّة فلم تستطع النّهوض به؛ لانتهائها إلى عملٍ صوّري أهمل جوهر الأدب، ولتحوّلها إلى إحصائيّات بيانيّة ومعادلات رياضيّة أفقدت النّقد أهميّته وأبعدت النّاقد عن مهمّته الأساس المتمثّلة في تحليل النصّ وتفسيره.
2- إنّ مجيء الأسلوبيّة أحدث اختلافًا وتناقضًا بين النّقّاد؛ نتيجة عدم فهم هذا المصطلح، مما أدى إلى ظهور مجموعة من النقّاد المتعصبين لها المتنكّرين للتراث العربيّ.

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

3- لا يمكن أن يُضفى على الأسلوبيّة صفة المنهج الكامل أو الشّامل الوحيد في دراسة الأدب؛ لأنّها مهما اتسعت ستقتصر دراستها للنصّوص على الأسلوب، وهنا ستُهمَل جوانب أخرى مهمّة في النّصّ، وبهذا فهي لا تحلّ مشكلات النّقد؛ لأنّ الدّراسة الأسلوبيّة تنطلق لغويًّا من النّصّ، وتعدّ كلّ نصٍّ فريدًا لا يُقاس عليه، وفي ذلك غياب للأصول التي يتّخذها النّاقد أساسًا لاستكشاف قيمة النّصّ وتفرّد الأديب.

4- إنّ أغلب الدّراسات الأسلوبيّة لا تستوعب النّصّ، ولا تُظهِر قيمة اللّغة، ولا تُبرز دور المؤلف والمتلقّي، ولا توضّح الهدف من الرّسالة، ولا تستجلي تأثير النّص وتقويمه، بل هي خواطر يحاول النّقّاد فرضها بحُجّة الحداثة، متناسين أنّ النّقد الأدبيّ عمليّة إبداعيّة تستند إلى موهبة فنّية، وثقافة، ووضوح هدف، ورؤية.

5- الأسلوبيّة تُجرّد النّصّ من روحه وتفصله عن كلّ ما يُحيط به، ولا تنتهي إلى نتيجة تُقنع أو تحقّق هدفًا مرسومًا، وهي بطريقتها الشكليّة هذه لا تخدم النّقد الأدبيّ.

6- كان لكثرة مصطلحات الأسلوبيّة وغموضها، واختلاف النّقّاد في مدلولها، والتّنظير المعتمد على الآراء المتضاربة، والاتجاهات المتباينة دور في غياب النّظريّة النّقديّة وانعدام الرؤية ووضوح الهدف، كما أنّ كثرة المعادلات الرّياضيّة والإحصاءات البيانيّة التي يتّسم بها المنهج الأسلوبيّ زاد الأمر تعقيدًا وجعل من النّصوص ركامًا.

7- لم تكن الأسلوبيّة يومًا بديلًا عن البلاغة ومنهجًا يُثري، وإنّما كانت قدرة على المحاججة، والتّنظير، والتّفنّن، في الاقتباس والنّقل وإدلالًا في وضع المصطلحات المبهمة وصياغة الكلام بأسلوب غير مفهوم.

8- بعد أن كانت دراسة الأساليب البلاغيّة واضحة، وكان التّحليل مونقًا والدّليل مقنعًا، أصبحت على يد الأسلوبيّة رُقيًّا ومجالًا لعرض الثّقافة وميدانًا للإغراب.

9- تركْ البلاغة والرّكون إلى الأسلوبيّة سيؤدي إلى فلسفة موت الإنسان؛ لابتعادها عن الأدب وانصرافها إلى المماحكة والجدل وتحويلها إلى معادلات رياضيّة وإحصائيّة بيانيّة مبتعدة في ذلك عن النّصّ.

يبدو أنّ الدّكتور أحمد مطلوب عبر إيراده هذه العيوب، كان رافضًا ومتخوّفًا من إحلال المنهج الأسلوبيّ محلّ البلاغة، على الرّغم من إيمانه بعدم جدوى الأسلوبيّة من دون أدوات التّحليل البلاغيّ، وقد يكون إيمانه الكبير بالتّراث البلاغيّ العربيّ وطبيعة تفكيره النّقديّ والبلاغيّ الذي يميل إلى بعث الجذور العربيّة وإحيائها من جديد، هو ما دفعه إلى تبنّي هذه الأفكار.

الأسلوبيّة منهج الآخر عند حمّادي صمّود:

اتجه النّقد العربيّ المعاصر إلى ثقافة الآخر التي بدأت العناية بها في مطلع السبعينيّات تحديدًا، وقد تفاعل معها واجتهد للدخول في صميم المخاض النّقديّ الحديث، بكل مفاهيمه، واستراتيجياته، ومناهجه، هذا الوضع الجديد أفرز انفتاحًا ومثاقفةً في المناهج النّقديّة المعاصرة. فاليوم علينا التّعامل مع مبدأ توالج العلوم من موقع الاستثمار المعرفيّ، فعندما يكون التقاء العِلمين على أساس الاستدعاء النّظامي لا على سبيل الصّدفة، فالتضافر بهذا المعنى الجديد نسق منهجيّ ذو قواعد في أساسيّاته؛ لأنه ينطلق من تخاصب الثقافتين ويرمي إلى توظيف إحداهما خدمةً للأخرى[19]، وفي ظلّ هذا التفاعل اتّجه النّقاد العرب المعاصرون إلى التّعامل مع التّراث بمنطق الانتماء وإلى ثقافة الآخر بمنطق المثاقفة، ومن بين هؤلاء النقاد الدّكتور حمّادي صمّود الذي آثر على نفسه الاعتراف بالآخر ممّا دعاه إلى تأليف كتابه (الوجه والقفا) الذي جمع فيه دراسة في أقدم نصّوص التّراث الأدبي العربيّ وهي المقامة، والجزء الآخر الذي أورد فيه آخر ما توصلت إليه الجهود النّقديّة الغربيّة المعاصرة ولا سيّما الأسلوبيّة (Stylistics).

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

لقد اعتقد الدّكتور حمّادي صمّود بالتّلاقح الثّقافي وقد بيّن ذلك صراحة عبر تذييل مؤلفه (الوجه والقَفا) بمقولة توضيحيّة لدلالة هذا الكتاب الرّمزيّة، فهو في((الأصل درسان ألقى أوّلهما وموضوعه جنس أدبيّ لا يكاد يوجد على هذه الهيأة إلا في الأدب العربيّ، على طلبة التّبريز في فرنسا عندما كان استاذًا زائرًا بجامعاتها، وألقى ثانيهما، وهو في الأسلوبيّة الغربيّة على طلبة الدّراسات العربيّة بالجامعة التونسيّة))[20].

حاول الدّكتور حمّادي صمّود قراءة التّراث البلاغيّ العربيّ قراءة أخرى ترصد ما استجد من مناهج نقديّة حديثة، سعيًا منه إلى الكشف عن جوانب جديدة في تراثنا البلاغيّ، عبر التّعاطي الإيجابي معه، ولا سيّما دراسته هذه التي انطلقت من منهجيّة تحليل الخطاب؛ بغية الإفادة من المُنجز البلاغيّ القديم، محاولًا إعادة إنتاجه معرفيًّا، وذلك عبر قراءة بعض الظّواهر البلاغيّة، ومراحل تشكّلها؛ فهو يعتقد ((إنّ الذين كان لهم الحظّ في أن يعمّقوا معارفهم، وأن يتناولوها تناولًا تاريخيًّا وآنيًّا في الوقت نفسه، وأن يكونوا قرؤوا ما قال الأوائل، وما تقول الدّراسات والعلوم الحديثة [000] على هؤلاء أن يساهموا أكثر من غيرهم في تنوير العقول، وفي فتح أعين النّاس على حقيقة ما يوجد في تلك النّصّوص))[21]. فقد سعى إلى الوصول بالبلاغة العربيّة لتتصل بالبلاغة العالميّة؛ لأنّها تُعدّ إحدى حلقاتها، وتمّ ذلك بإعادة قراءة البلاغة العربيّة والفهم المؤسّس علميًّا، فضلًا عن استيعاب الوافد الجديد، وإجراء حوار بينهما، يقوم على قاعدة التّوافق.

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

التّوجّه الحديث في دراسة الأسلوبيّة:

كان توجّه الدّكتور حمّادي صمّود حداثيًّا مجدّدًا، إذ تبنّى فيه مشروع الأسلوبيّة وحاول دراسته بصورته المنقولة عن الغرب في الثّقافة العربيّة المعاصرة، فقد اهتمّ بدراسة الأسلوبيّة وأسهم في الحديث عن خصائصها الفنّية ووسائل بنائها، وقد عدّ الأسلوبيّة علمًا لسانيًّا يُعنى بدراسة النّصّ الأدبيّ، ومجالًا من مجالات البحث المعاصر، الذي يدرس النّصّوص الإبداعيّة ويُحلل أساليبها ويكشف عن قيّمها الجماليّة عبر تحليل الظّواهر اللّغويّة والبلاغيّة للنصّ، وقد حاول الدّكتور حمّادي صمّود الالتزام بالموضوعيّة في طرحه للأفكار، ذاكرًا أهمّ مؤسسيها وكيفيّة دراستهم لها، ومبيّنًا أبرز أنواعها وأهمّ اتّجاهاتها وميادين دراستها.

وقد وضّح الدّكتور حمّادي صمّود العقبات التي تواجه الدّراسات الأسلوبيّة وكان أبرزها، هو عدم القدرة على تحديد الفضاء الذي تتحرك فيه الأسلوبيّة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة التّصنيف وتداخل معاييره؛ وذلك نتيجة التّداخل بين خصوصيّات الدّراسة الأسلوبيّة مع غيرها من النّشاطات المُنصبّة على النّصّ، كما أنّ اتساع مجال الأسلوبيّة دعا الدّكتور حمّادي صمّود إلى التّشكيك في صحّة وجود هذا المنهج أصلًا، ولا سيّما أنّه وجد أبرز المعنيين بالدّرس الأسلوبيّ هم من أشهر النقّاد المهتمين في ظاهرة الأدب، ليطرح تساؤلات عدّة في حدود الأسلوبيّة، وحدود النّقد، وفي الوصف اللّغويّ للنصّ إذا ما قورن بالتّفكير بقضايا الخيال والنّماذج الأسطوريّة التي جُبل عليها الإنسان ووظّفها في كتاباته. وعلى ما يبدو أن الدّكتور حمّادي صمّود لم يعدّ الأسلوبيّة منهجًا نقديًا، ولا بلاغةً، بل عدّها علمًا لسانيًّا محوره البحث اللّغوي قائلًا: إنّ ((الأسلوبيّة ليست بلاغة وليست نقدًا، وإنّما مهمتها البحث عن علاقة التّفكير بالتّعبير وإبراز الجهد الذي يبذله المتكلم ليوفّق بين رغبته في القول وما يستطيع قوله))[22]، مبيّنًا أنّ هذا التخبّط في عدم تحديد موقع الأسلوبيّة أدى إلى تراجعها في أوساط المثقفين في الغرب[23]. إذن يرى الدّكتور حمّادي صمّود أنّ الأسلوبيّة كانت وما زالت غير واضحة المعالم، وتحتاج إلى دراسات موسّعة لتحديد مفهومها، وإيصاد باب الاجتهاد المؤدّي إلى تخبّط المفهوم وضبابيته.

الخاتمة:

1- اعتقد الدّكتور أحمد مطلوب بأنّ الأسلوبيّة وليدة البلاغة العربيّة القديمة وعلم اللّغة، وهي ليست حديثة في نشأتها، ولا تنتمي لأفكار الغرب وإن كانت قد تطوّرت عن علم اللّغة الحديث أو اللّسانيّات.

2- على الرّغم من اعتراف الدّكتور أحمد مطلوب بالعلاقة الوثيقة والتّكاملية بين البلاغة والأسلوبيّة، لكنه ميّز بينهما.

3- ميل الدّكتور أحمد مطلوب إلى البلاغة، ونصرتها؛ ينمّ عن طبيعة تفكيره النّقديّ والبلاغيّ المتعلّق بالتّراث العربيّ، ورفضه لكلّ ما هو غربيّ من المناهج النّقديّة بشكل عام، والمنهج الأسلوبيّ بشكل خاص؛ لذلك وضع العيوب والفوارق المنهجيّة بين البلاغة والأسلوبيّة، لتكون النّتيجة رجوح كفّة البلاغة على كفّة الأسلوبيّة.

4- آمن الدّكتور حمّادي صمّود بالآخر الغربيّ؛ فكانت دراسته للأُسلوبيّة على وفق المفهوم الغربيّ في الأغلب.

5- بدت دراسة الدّكتور حمّادي صمّود على العكس من دراسة الدّكتور أحمد مطلوب، فهي تستنبط الأفكار مما وصلت إليه المناهج العالميّة في موضوع الأسلوبيّة وإن كان رافضًا لبعض أفكارهم.

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

6- على الرّغم من تبنّي الدّكتور حمّادي صمّود دراسة الأسلوبيّة على وفق المفهوم الغربيّ، فإنّه لم ينكر أهميّة التّراث العربيّ البلاغيّ في وضع أُسس الأسلوبيّة، فهو يرى أنّ الدّراسات الأدبيّة التي طُرَحت اليوم في نطاق ما يُسمى بالأسلوبيّة، لم تتجاوز تحليلات علماء الأسلوب لها ما وقفنا عليه عند القدامى.

7- اتفق النّاقدان على وجود كثيرٍ من العيوب المنهجيّة في سياقات المنهج، وإن اختلفت وجهات النّظر بين النّاقدين في رؤية هذه العيوب.

8- رفض الدّكتور حمّادي صمّود أن تكون الأسلوبيّة منهجًا نقديًّا أو بلاغةً، بل عدّها علمًا لسانيًّا محوره البحث اللّغوي.

9- اتفق النّاقدان على الرؤية العلميّة للطابع الإشكالي في منهج التّحليل الأسلوبيّ، فقد وجد الدّكتور أحمد مطلوب أنّ الأسلوبيّة لا تصلُح أن تكون بديلًا للبلاغة، بل هي بديل سيء، أمّا الدّكتور حمّادي صمّود فقد أشار إلى الطّابع الإشكاليّ في حيّزها التّنظيريّ والإجرائيّ، ولا سيّما من جانب الكثافة الاصطلاحيّة.

ومهما كانت الطّروحات التي قدّمها النّاقدان، وعلى اختلاف أوجهها لا يمكن أن ننفي الصّلة الواضحة بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّة، وأنّ محاولات النّاقدين سواء التي قدّمت دراسة التّراث البلاغيّ العربيّ أو التي تعرّضت له في ضوء الدّراسات الغربيّة، جميعها كان لها الأثر الواضح في زيادة العلاقة بين البلاغة والأسلوبيّة، الأمر الذي مكّننا من الحصول على نقاط الالتقاء والأهداف المشتركة بينهما، مع الحفاظ على حدود كلٍّ منهما ضمن سياقٍ محدّد.

Diyala Journal For Human Rsearch
Volume 1 Issue 96 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

الأسلوبيّة في المنظور النّقديّ عند أحمد مطلوب وحمّادي صمّود (دراسة موازنة)

الملخص:

بحثنا الموسوم (الأسلوبيّة في المنظور النّقدي عند أحمد مطلوب وحمّادي صمّود دراسة موازنَة)، يقوم على رصد مظاهر الأسلوبيّة استنادًا إلى رؤيتين، الأولى للدكتور أحمد مطلوب التي مثّلت العودة إلى الجذور التّراثيّة والبحث بين طيّاتها عن الأسس الأسلوبيّة للبلاغة العربيّة قديمًا، وإثبات بأنّ أساس الأسلوبيّة هو الفنون البلاغيّة العربيّة، وأنّ هنالك علاقة تكامليّة بينهما بحيث لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر، بينما كانت الرؤية الأخرى للدكتور حمّادي صمّود حيث كانت بواعث دراسة الأسلوبيّة عنده هي الآخر الغربيّ فقد درس نظريّاتهم وحلّلها للوقوف عند مفهومها وأنواعها، وعلى الرّغم من اختلاف الرّؤى النقديّة بين النّاقدين التي تعود إلى طبيعة التّفكير النّقدي بينهما، وما حُمّل به كلّ ناقد من ثقافات، فإنّهما اتفقا على بعض النّقاط الجوهريّة التي آمن بها كلّ منهما.

الباحثين

فنن نجم عبد الآله	أ.د. اياد عبد الودود عثمان الحمدان
جامعة ديالى/ كلية التربية	جامعة ديالى/ كلية التربية

عناوين الاتصال

dr.nyhp@gmail.com dr.nyhp@gmail.com

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص

CC BY 4.0 (http://creativecommons.org/li-censes/by/4.0/)

Diyala Journal For Human Research
Valum 1 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الأول العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

الهوامش:

(1) الأسلوبيّة والأسلوب : 37.
(2) ينظر: الأسلوبيّة والأسلوب: 38 .
(3) الأسلوبيّة، بييرجيرو: 54.
(4) الأسلوبيّة وثلاثيّة الدّوائر البلاغيّة:124.
(5) ينظر: الأسلوبيّة والأسلوب: 6.
(6) الأسلوبيّة، بييرجيرو:9.
(7) مدخل إلى علم الأسلوب : 5.
(8) ينظر: الأسلوبيّة والأسلوب:52.
(9) ينظر: في المصطلح النّقديّ: 103.
(10) الأسلوبيّة ونظريّة النّصّ: 49.
(11) إعجاز القرآن: 184.
(12) في المصطلح النّقديّ: 119.
(13) ينظر: المصدر نفسه: 119-120.
(14) ينظر: المصدر نفسه:62.
(15) ينظر: في المصطلح النّقديّ: 119.
(16) ينظر: المصدر نفسه: 120.
17) في المصطلح النّقديّ: 123.
(18) ينظر: المصدر نفسه: 111 - 123.
(19) ينظر: الأدب وخطاب النّقد : 15.
(20) الوجه والقفا : 57.
21) المثقّف والجامعي والمجال العام، (مقابلة) مع الدّكتور حمّادي صمّود، للإعلامي نادر الحمامي، 2/16/ 2017. https://youtu.be/s4O2BqotRsM
(22) الوجه والقفا: 63.
(23) ينظر: المصدر نفسه: 59.

المصادر والمراجع :

1- الأدب وخطاب النقد، د.عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط1، 2004.

2- الأسلوبيّة، بييرجيرو، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب- سوريا، ط2، 1994.

3- الأسلوبيّة الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان – الأردن، ط1، 2007.

4- الأسلوبيّة والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 1982.

5- الأسلوبيّة وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، 2002.

6- الأسلوبيّة ونظرية النص، د. إبراهيم خليل، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن – عمّان، ط1، 1997.

7- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (403ه)، ت. السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة - مصر، 1971.

8- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس(مشروع قراءة)، حمّادي صمّود، منشورات الجامعة التونسيّة ، المطبعة الرسميّة للجمهوريّة التونسيّة، ط1، 1982.

9- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط1، 1998.

10- في المصطلح النقدي، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2012.

11- الوجه والقفا، د. حمّادي صمّود، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2018.

12- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمّد عيّاد، دار العلوم للطباعة والنّشر، الرياض- السعودية، ط2، 1992م.

13- المثقّف والجامعي والمجال العام، (مقابلة) مع الدّكتور حمّادي صمّود، للإعلامي نادر الحمامي، 2/16/ 2017. https://youtu.be/s4O2BqotRsM